بسم الله الرحمن الرحيم

خدمة المجتمع .. نحو مفهوم أشمل ومسؤولية أوسع

بقلم أ.د : عبد الله بن عمر الدميجي

رئيس مجلس إدارة جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالخرمة

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن بسنته اقتدى..

أما بعد :

فقد ترددت كثيرا في اختيار موضوع يناسب باكورة الإنتاج الثقافي التوعوي لمجلس بلدي (محافظة الخرمة) بعد أن كلفني الإخوة بالمشاركة بمقالة في مجلة المجلس الغراء، وتركوا اختيار الموضوع لكاتب المقال إحسانا منهم الظن بأخيهم.

وحين يرد ذكر المجلس البلدي فإنه ينقدح في الذهن مباشرة "خدمة المجتمع"؛ لأن مهمة المجلس الرئيسة بأعضائه المنتخبين والمعينين هي القيام بوظيفة "المحامي" عن أهل البلد و "الوكيل" عنهم في تحقيق طموحاتهم وحقوقهم المتعلقة بالخدمات العامة، ومساعدة الجهات المسؤولة المكلفة بتأمين تلك الخدمات والتنسيق معهم ومتابعتهم، ووضع الخطط والاستراتيجيات بعيدة المدى في استثمار الموارد لتحقيق الصالح العام وتطلعات المجتمع الطموح.

لكن "خدمة المجتمع" ليست قاصرة على الخدمات العامة التي هي من اختصاص المجلس البلدي ومتابعته ، بل هناك من الضروريات ما تفوق في الأهمية هذه الخدمات،

وعواقب التفريط فيها أشد ضرراً من نقص تلك الخدمات ، فمن المسؤول عنها؟ ومن المحامي عن البلد وأهله لتحقيقها؟ إنها مسؤولية المجتمع نفسه عن نفسه، ومسؤولية المجتمع عن أفراده ومسؤولية الأفراد عن مجتمعهم ؟ ثم ما هو هذا المجتمع الذي نتحدث عنه؟ هل المجتمع إلا أنا وأنت! وهل المسؤول إلا أنا وأنت ! وهل الخادم إلا أنا وأنت! وهل المخدوم إلا أنا وأنت!؟.

إنها مسؤولية الجميع أفرادا ومؤسسات حكومية وتطوعية وأهلية، لكنها تختلف باختلاف التخصصات والصلاحيات والقدرات والمؤهلات، ولا يعذر أحد من تحمله المسؤولية بقدر طاقته ووسعه.

إن من خصائص المجتمع المسلم أنه "مجتمع مسؤول" فالمجتمع بكاياناته ومؤسساته الحكومية والخيرية والتطوعية والأهلية مسؤول عن أفراده وما يصلحهم.

كما أن الأفراد الذين هم لبنات هذا المجتمع الشامخ مسؤولون ومؤتمنون على مجتمعهم كما قال صلى الله عليه وسلم : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) بل قال الله تعالى قبل ذلك :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الحِجر:٩٢-٩٣].

والمجتمع الذي يفقد أفراده تحمل المسؤولية يفقد قيمة الحياة، وحين لا تكون لهم رسالة ومسؤولية يشغل الهوى قلوبهم وتمتد الشهوات وتستعلي الغرائز وتظهر الفردية والمصالح الشخصية واللامبالاة على قاعدة المثل الجاهلي: (أنا وبعدي للطوفان) والمثل العامي "الجاهلي" أيضا "في جنب غيري كأنها في الطين" ..... وأمثالها.

لكن ديننا الحنيف أرشدنا إلى أنه : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وإلى أن : (المسلم للمسلم كالبنيان؛ يشد بعضه بعضا) وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه

، وقال : ((كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) بل جعل ((إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان)) و((تبسمك في وجه أخيك صدقة)).

وليس هناك أحد مهما قلت قدراته وإمكاناته معذور عن تحمّل المسؤولية ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾[التوبة:٩١] وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما قال: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن العمل؟ قال: ((تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك)).

وضرب صلى الله عليه وسلم المثل للمجتمع المسلم بالسفينة، فإن ترك ركابها مسؤوليتهم تجاه سفينتهم وتركوا لسفهائهم حريتهم خرقوا السفينة فغرقوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا.

فكان شعار المجتمع المسلم : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب﴾[المائدة:٢] ودثارهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحُجُرات:١٠]وميزانهم ((خير الناس أنفعهم للناس)) .

إذا تحقّق هذا في المجتمع وتحمّل كل واحد منّا مسؤوليته تجاه الآخر بعد تحقيق القاعدة الأساسية وهي القيام بمسؤوليته أمام خالقه ومولاه من الإيمان بالله تعالى وتوحيده تحقق موعود الله لهم بـ "الحياة الطيبة" في الدنيا، والجزاء الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[النحل:٩٧]وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾[النور:٥٥].

ومن المقومات الأساسية لهذه الحياة الطيبة الموعودة للأفراد والمجتمعات المحافظة على الضرورات الخمس التي جاء الدين الإسلامي بحمايتها، بل وجميع الشرائع السماوية السابقة، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وشرع الإسلام لكل واحدة منها من الشرائع ما يحافظ عليها ويحميها مما هو مبسوط في غير هذا الموضع.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما دورنا نحن أبناء هذه المحافظة أفراداً وجماعات، مؤسسات وهيئات، وماذا قدمنا للمحافظة على هذه الضرورات الخمس التي أمرنا الله تعالى بحفظها ليتحقق لنا ولمجتمعنا "الحياة الطيبة"؟.

إن المتأمل بعين البصيرة لواقع المجتمع يرى بعض الهنات والأخطاء والتقصير الذي يستدعي أن يهبّ الغيورون على دينهم ووطنهم إلى معالجتها، وأن يتعاونوا فيما بينهم لتسلم لهم سفينتهم من بعض الخروقات التي يحدثها بعض السفهاء والتي قد تكون سببا لغرق سفينة المجتمع بكليته لا قدر الله .

أما بخصوص الأساس الأول: وهو المحافظة على الدين فيكون بتعاون جميع الجهات كل فيما يخصه بتعظيم الدين في النفوس وتبيين مغبة التساهل في التمسك به، فإنه العاصم بإذن الله من الفتن الداخلية والخارجية، وكذلك الاهتمام بالتعليم الشرعي والدعوة إلى الله على بصيرة ،

ووقاية المجتمع من البدع المحدثة والأفكار الهدامة ، وعوامل الفرقة والاختلاف ، وحمايته من الشبهات الوافدة التي تزعزع الثقة بالدين، وتهون التحلل من تعاليمه، بل وتنفر من علمائه ودعاته، أو تؤدي إلى الغلو فيه وتجاوز المشروع تعليماً وتطبيقاً.

كما ينبغي التوسع في إيجاد المحاضن الشبابية المنضبطة التي يأمن الشباب فيها على دينهم وتشغلهم بما ينفعهم ويصلحهم ليكونوا لبنات صالحة في بناء أنفسهم ومجتمعاتهم .

وقد حفظ الله تعالى بمنّه وفضله أبناء هذا البلد المبارك – فيما نحسب- من الوقوع في شيء من الأفكار المنحرفة، والتلطخ بالدماء البريئة والتصرفات الرعناء التي تؤدي إلى تقويض الأمن وترويع الآمنين وذلك بفضل الله عز وجل ثم بجهود القائمين على شؤون الشباب من العلماء والدعاة والمعلمين والمربين، وإنها لمفخرة تعتز بها هذه المحافظة وأبناؤها.

أما المحافظة على الأساس الثاني وهو حفظ النفس: فذلك الاهتمام ببيان حرمة دم المسلم ومنزلتها عند الله ، وسوء مآل المستحلين للدماء المعصومة بغير حق، إضافة إلى وقاية المجتمع من الأسباب الدافعة إلى إراقة الدماء المعصومة كالعصبيات القبلية، والثارات الجاهلية، وضرورة الأخذ على أيدي السفهاء وأطرهم على الحق أطرا ، وعدم الشفاعة في المعتدين لحدود الله المتساهلين في الدماء ، وتعاون المجتمع مع المسؤولين في منع استعمال السلاح وإشهاره في المناسبات والأفراح، وعدم التهاون في ذلك ، فكم من نفس أزهقت ظلما بسبب رصاصة طائشة من غرٍّ جاهل.

ولا ننسى في هذا المقام الاهتمام بجانب آخر في غاية الأهمية ، حيث كان سببا في إغلاق بيوت بأكملها وتيتُّم أسر وأطفال وحرمانهم من عائلهم ، وكم من زهور شابة غالية راحت

ضحية لتصرفات حمقى ، أو سرعة جنونية ، أو تفحيط ولعب بالسيارات التي بلغت إحصائيات الوفيات بسببها ما لم تبلغه الحروب الطاحنة، ناهيك عن الإعاقات المستديمة والأموال المهدرة.

أما المحافظة على النسل والأعراض فببيان أحكام الشريعة في حماية هذا العنصر الأساس من حياة المسلمين، والتمسك بأحكامه والحثّ على الحشمة والحياء والحجاب، وعدم الاختلاط، وتكثيف التوعية بذلك في أوساط نسائنا وبناتنا، وحمايتهم من وسائل الرذيلة ودعاتها، والأخذ على أيدي المفسدين الذين يتلاعبون بأعراض المسلمين، والتعاون مع الجهات المعنية من الهيئات والشرط في حراسة الفضيلة ، وحماية المجتمع من الرذيلة، ويدخل في ذلك تسهيل أمور الزواج وتخفيف المهور ومساعدة الشباب والشابات على إعفافهم وتحصينهم وحماية الأسرة من التفكك ووسائله وإصلاح ذات بينهم .

أما الأساس الرابع وهو العقل، فتلك النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علينا وميزنا بها عن سائر الحيوان فنحن نرى في مجتمعنا من مظاهر اللعب بعقول المسلمين وأبنائهم ، وتدميرها حسياً ومعنوياً؛ حسياً عن طريق المخدرات والمسكرات والخمور، ومعنوياً بوسائل الاتصال الحديثة التي عصفت بعقول كثير من أبنائنا ، فأصبحوا أجساما مهترئة بلا عقول، وكم من الاعتداءات على الأنفس والأعراض والأموال بسبب أم الخبائث المغيبة للعقول.

وأما الأساس الخامس وهو حفظ المال الذي هو عصب الحياة ، فذلك بتسهيل طرق الكسب الحلال، وتوفير مجالات العمل المنتج والتشجيع عليه مع حماية أموال المسلمين من السرّاق والمجرمين والمفسدين، وحماية المسلمين في أموالهم من الغش والجشع والخديعة والربا والبيوع المحرمة ، وحمايتهم من أساليب النصب والاحتيال بألوانها الخادعة المعاصرة .

هذه خواطر أحببت المشاركة في طرحها لاستكمال دراستها ووضع السبل الكفيلة لتنفيذ الصالح منها، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.